

دراسة رواية "غرفة العناية المركزة" في ضوء النقد الاجتماعي للأدب

**A study of the novel "Ghorfah Al Enayah Al Morakkazah"
based on social criticism of literature**

فرحناز گوارا¹، أمين نظري تريزي²

¹ جامعة شيراز (إيران)، Farzanh1354.g131@gmail.com

² جامعة شيراز (إيران)، aminnazari@saadi.shirazu.ac.ir

تاريخ الاستلام: 2024/11/18 تاريخ القبول: 2024/11/25 تاريخ النشر: 2025/03/12

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة "رواية غرفة العناية المركزة لعزالدين شكري فشير في ضوء النقد الاجتماعي للأدب. ما توصلت إليها الدراسة هو أنّ الكاتب ركّز في روايته على الوضع القائم للمجتمع المصري وعبر عن قضايا مختلفة يعيشها المجتمع المصري ويعاني منها في فترة الخمسينات مثل الفقر والفساد والظلم والقمع السياسي والتطرف بطريقة تجعل القارئ يتفكر ويتأمل في الواقع المصري. كما تعكس الرواية حالة من الأمل واليأس في آن واحد.

كلمات مفتاحية: النقد الاجتماعي للأدب، المجتمع المصري، عزالدين شكري فشير، غرفة العناية المركزة.

Abstract:

this research seeks to study This novel Based on social criticism of literature. The results of the study show that the writer focused in his novel on the bleak situation of Egyptian society and expressed various issues that Egyptian society lives and suffers from in the 1950s, such as poverty, corruption, injustice, political repression, and extremism, in a way that makes the reader think and contemplate the Egyptian reality. The novel also reflects a state of hope and despair at the same time.

Keywords: Social criticism of literature; Egyptian society; Ezzedine Shukri Fashir; Ghorfah Al Enayah Al Morakkazah.

المؤلف المرسل: أمين نظري تريزي،

1. مقدمة:

إن علاقة الأدب بالمجتمع هي بالذات تشمل علاقة الأديب بمجتمعه ووعيه لما يجري حوله وكشفه ما يخصُّ المجتمع وما يخفى على الآخرين. إذن ما الأدب ووظيفته؟ وكيف يمكنه أن يحقق الوظيفة التي حملها على عاتقه؟ فالأدب فن من الفنون الجميلة يعكس مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية. وسيلته في التعبير عن تلك القيم الكلمة المعبرة الموحية، هذا التعريف البسيط يلتقي بتعريف آخر. «إنه تعبير فني عن موقف إنساني أو تجربة إنسانية ينقلها الأديب ويبغي من ورائها المتعة والفائدة». فللكلمة دور في بناء المجتمعات وأكثر ما يظهر في المواقف العصبية والأزمات وصانع هذه الكلمة أديب ملك عقلاً واعياً متسلحاً بالوعي والإيمان بالهدف. وعلى هذا يلعب الأدب دوراً مُتميزاً في المُجتمع، حيث يقوم برفع وعي الفرد باعتباره وسيلة من وسائل بث الوعي الفكري والجمالي برسائله الأدبية والجمالية، وإن النَظر لمفهوم الأدب قد توسع حتى أصبح سلاح في يد من يملكه ليعمل به ما يريد في المُجتمع، لذلك يجب أن يتم استيعاب دور الأدب وأهميته لنقطف منه الثمرة التي نريد، ونتجنب به تأثيره الهدّام على مجتمعنا (محمود، 2018، ص 44).

في الحقيقة "لم ينفصل أي علم من العلوم عن لحظات الميلاد الأولى لعلم الاجتماع، إلا أن التجلي المنهجي لكل علم من هذه العلوم جاء وفق مقدمات استرشادية تحدد أبعاد أي منها، وكانت الاسترشادات المبكرة لاحتضان علم الاجتماع لـ (الأدب) متناثرة في العديد من الدراسات الاجتماعية وصولاً إلى رؤى العلماء المؤسسين لعلم الاجتماع، ومن ثم بدأت ملامح العلم الجديد تتخذ شكلها وقالها العلمي. وكانت البدايات العلمية الأقرب لميدان علم الاجتماع، مع (أوجست كونت) (1798-1857)، مؤسس علم الاجتماع الغربي. فأوجست كنت قرر المراحل الثلاث التي مرت بها المجتمعات،

الميتافيزيقية واللاهوتية والوضعية، وكل شؤون الحياة تخضع لهذه المراحل من وجهة نظره، والفن والأدب من ضمنها (إمامي، 2006، ص 7). ثم جاء مؤسس علم الاجتماع الأكاديمي "أميل دوركايم" (1858 - 1917)، الذي اهتم بالأدب والفنون، ودرسها من منطلقاتها التاريخية، محاولاً رسم المنظور الاجتماعي لها وواقع تأثيرها وتأثرها ووظائفها في المجتمع (المصدر نفسه، ص 8).

ومن المحطات التي لا يمكن إغفالها، قبل مرحلة كونت ودور كايم الواردة سابقاً. المرحلة التي فسر فيها الفيلسوف الإيطالي "جان بابتيست فيكو" (1668-1744)، الأدب تفسيراً سوسيولوجياً مادياً، من منطلق أن الواقع الاجتماعي هو مصدر الإبداع الفني والجمالي (حمداي، 2015، ص 18). وكذلك محطة "مونتسيكو" (1689 - 1755) الذي كان ينظر إلى الأدب على أنه ظاهرة اجتماعية (المصدر نفسه: 15 - 17). أما أول محاولة صنفت على أنها محاولة جادة في ميدان النقد السوسيولوجي فقد كانت على يد "مدام دوستايل" (1766_1817)، في كتابها عن الأدب وعلاقته بالمؤسسات الاجتماعية. (ينظر: المصدر نفسه، ص 14-17)

يعدّ كاتب، ونص، ومحتوى ثلاثة عناصر رئيسة للمنتج الأدبي. فعلم اجتماع الأدب ينظر للعنصر الأول (الكاتب)، من عدة جوانب. كالبيئة التي عاش فيها الكاتب أو ينتهي لها بكافة عناصرها وكل جوانبها، كذلك وضعه الاجتماعي وطبقته الاجتماعية ومن حيث طبيعة مهنته وغيرها (شميسا، 1997، ص 3-7). أما من حيث العنصرين الآخرين، الثاني (النص)، والثالث (المحتوى) فيمكن إجمال الحديث عنهما، فالنص هو أي جنس أدبي سواء أكان شعراً بمختلف قوالبه أو نثراً من قصة أو رواية أو خاطرة. ويعد النص المادة الأساسية في الدراسات الاجتماعية للأدب، وهو المخزون الاجتماعي الذي يحاول المتخصص في الأدب من المنظور الاجتماعي سبر أغواره ورصد كل ما يكتنزه من مادة اجتماعية، ولغة حية داخل النص الأدبي، وهنا ندخل في العنصر الثالث (المحتوى) (عسكري، 2010، ص 12).

عزالدين شكري فشير روائي ودبلوماسي من مصر، يعمل حالياً أستاذاً بقسم دراسات الشرق الأوسط بكلية دارتموث بالولايات المتحدة. ولد عزالدين شكري فشير في مدينة الكويت لأبوين مصريين عام 1966 ثم عاد مع أبويه لمصر وهو لم يتجاوز العامين واستقروا بمدينة المنصورة التي تعلم بمدارسها. وفي السابعة عشر انتقل للقاهرة لدراسة العلوم السياسية بجامعة القاهرة، وتخرج منها عام 1987. عمل بعد ذلك لفترة وجيزة كباحث بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، كما قضى خدمته العسكرية ونشر عدة مقالات بمجلة السياسة الدولية. بعدها التحق بالعمل بالسلك الدبلوماسي المصري، حيث عمل بمكتب الدكتور بطرس بطرس غالي لمدة عام، ثم سافر لباريس للدراسة، وحصل على الدبلوم الدولي للإدارة العامة من المدرسة القومية للإدارة بباريس (ENA) في 1992. بعد ذلك عاد لمصر لأقل من عام ثم رحل من جديد لكندا للدراسة، فحصل على ماجستير العلاقات الدولية من جامعة أوتاوا في 1995 عن رسالته في مفهوم الهيمنة في النظام الدولي. نشر عندها روايته الأولى "مقتل فخرالدين" في مصر دون إعلان - بسبب عمله الدبلوماسي. حصل على دكتوراه العلوم السياسية من جامعة مونتريال عام 1998 عن رسالته حول الحداثة والحكم في النظام الدولي (يحيى، 2023) أما روايته الموسومة بـ "غرفة العناية المركزة" فيسلط الراوي فيها الضوء على القائم للمجتمع المصري، ولكنه مع كل هذه السوداوية في الواقع المصري ما زال يرى بصيصاً من النور لا يدري كيف يصل إليها «فالرواية تدور حول أربع شخصيات رئيسية ضابط مخبرات ضعيف جنسياً، صحفي شهير زير نساء، محامية تتبنى قضايا الحركات الإسلامية الأصولية، محامى قبلي يتبنى قضيه المرفوعة ضد الصحفي الشهير. الأربعة تحت أنقاض مبنى القنصلية المصرية في السودان في أعقاب تفجير انتحاري. يروي كل من هم قصته بدءاً من نقطة التحول الكبرى في حياته وصولاً إلى هذا الحصار تحت الانقاض، وقسوتها وما مروا به من زيف في حياتهم ومجتمعهم، وكيف سيشقون طريقهم للخارج (المصدر نفسه) في هذه

الرواية، الراوي من خلال اختيار ٤ شخصيات متنوعة مهنيّين ونفسيّين وإطار تحكمه التقلبات السياسية والثقافية و... في المجتمع ومدى تأثير النزاعات الداخلية المتخفية تحت غطاء المناصب والأحزاب والتوجهات وعلى أفراد المجتمع المصري. وبين مدى قساوة وسوداوية وضع المجتمع، بحيث يعيش مجتمع الراوي بأسره في حالة احتضار ما بين الحياة والموت وما بين الأمس واليوم والحاضر. لاسيما في تلك الحقبة الزمنية الاجتماعية التي تعتبر حقبة الانتقال والتغيير أبان ما يسمى بالربيع العربي. أبرز شخصيات هذه الرواية، صحافي وضابط مخبرات كانا في السابق زميلين جامعيين؛ محامية تدافع عن الإخوان مراهق من أصل مصري مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، يزور الخرطوم المسلمين. وفي حقيبتة متفجرات تهدم القنصلية المصرية في العاصمة السودانية. إنها في اختصار رواية لا يصف فيها الكاتب شبكتي الإرهاب والمخابرات فحسب، بل يسرد أيضاً كوابيس تورط الأفراد فيهما. بناء على ما سبق يهدف بحثنا الحالي إلى دراسة الواقع الذي يعيشه المجتمع المصري وأهم القضايا الاجتماعية السائدة آنذاك في ضوء النقد الاجتماعي للأدب.

لأشك أن النقد وعلى الوجه الخصوص النقد الاجتماعي للأدب يتطلب التوغل في غور الثقافة وبيئة الكاتب والرواية والخلفية المعروضة فيها في تلك الحقبة التاريخية والسياسية. الجدير بالذكر إنّ المنطلق الرئيسي لمنهج هذه الدراسة هو المنهج الاجتماعي الذي يعني بدراسة الظواهر الاجتماعية في البيئة التي يعيش فيها الأديب سعياً إلى إقامة العلاقة بين الإبداع الأدبي والمجتمع؛ لكنه ليس غاية نهائية من تحليل هذه الرسالة وفقاً لطبيعة موضوعها؛ لأنّ تفسير الأنظمة الاجتماعية التي تؤكد على العلاقة بين الأدب والمجتمع تتطلب منهجاً أوسع حتى يتجاوز عن الوصف الموضوعي الذي اقتضتها طبيعة المنهج الاجتماعي، والنقد الأدبي لها. على هذا الأساس يتطلب منا أن ننتهج منهجاً يمدنا بآليات مرنة حتى من خلالها نستطيع نجمع ونقدم مادة

معلوماتية وافرة وتامة، تطور النقد الاجتماعي خلال القرن العشرين وظهرت نظريات جديدة في النقد الاجتماعي. واعتمدت هذه الدراسة في تحليلها على هذه النظرية.

يسعى هذا البحث الإجابة عن السؤالين التاليين:

1. ما أهم القضايا الاجتماعية المنعكسة في الرواية؟

2. كيف عبّر الروائي عن هذه القضايا في روايته؟

1-1. الدراسات السابقة

اهتمّ عدد من الكتاب والباحثين بدراسة النقد الاجتماعي للأدب على النصوص الأدبية وعددها كثير ليس هنا مجال للحديث عنها فنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر. أحمدى (٢٠١٧)، درس السوسيولوجية في رواية ذات لصنع الله إبراهيم شارحاً المسائل الاجتماعية والايديولوجية التي عاش فيها المجتمع المصرى وتشير النتائج إلى أنّ صنع إبراهيم يعرف حياة الطبقات المصرية المتوسطة وحاول ترسيم العلاقة الوثيقة بين الأدب والمجتمع وهذه الرواية تتشكل من فئتين اجتماعيتين مختلفتين في الوقت ذاته.

صديق (٢٠١٨)، استهدف إلى تحليل البنية التي تبني الرواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني وتعرّف على الحال الاجتماعي في حياة المؤلف ويصف رؤية العالم النعاس في الرواية ويتوصل إلى أنّ بنية الرواية تتكون من العناصر الداخلية مثل الموضوع والشخصية والبيئة والحال الاجتماعي مثل البيئة والثقافة والسياسة والتاريخ ورؤية العالم في هذه الرواية هي الوعي الجديد.

ميرزايي (٢٠١٩)، درس في مقالته أسطورة النداهة لأحمد خالد توفيق في ضوء المنهج البنيوي التكويني لغولدمان للحصول على فهم التطورات الاجتماعية آنذاك والمشاكل التي حاول أحمد خالد توفيق تسليط الضوء عليها في روايته وكيفية العلاقة بين بنية الرواية والبنية الذهنية العامة للجماعة الاجتماعية أو للطبقة التي ينسب إليها الكاتب وفي النهاية توصلت الدراسة إلى أنّ رواية أسطورة النداهة هي انعكاس لحياة

المجتمع الريفي المصري في الستينيات وقام توفيق بتصوير رؤية العالم وموقفه الخاص حول الأحداث التي رآها في مجتمعه قد تبين في روايته أهمّ المشاكل الاجتماعية في الأرياف المصرية وهي القضايا المتعلقة بالفقر والعادات الخرافية والحرمان من التعليم.

خضري وزملاؤه (2019) قاموا بدراسة عناصر سوسيولوجية الأدب وتجلياتها في أشعار عبد السادة البصري عبر المنهج الوصفي- التحليلي وفي ضوء علم سوسيولوجية الأدب. ما توصّلت إليه هذه المقالة هو أنّ الشاعر يرى بأنّ مسار تطوّر مجتمعه يتوقّف على تمتّع الناس بحقوقهم الاجتماعية ولهذا وجّه نقده الشديد لتلك العناصر الاجتماعية التي لها دور كبير في تخلف المجتمع. إنّ الشاعر لا يعيش منطقياً على نفسه وإنّما يعيش لمواطنيه فلا ينسى مصائب المجتمع وآلامه، حيث أصبحت رسالته رسالة إنسانية سامية، يسعى من ورائها إلى إزالة الحواجز التي تحول بين أبناء شعب وبين شعوب العالم، فيريد لشعبه مثل ما تنعم به الشعوب الأخرى.

فرهنگ نيا (٢٠٢١)، قام بدراسة سوسيونيّة في رواية خان الخليلي لنجيب محفوظ شارحاً التوصل إلى أهم ميزات الحياة الاجتماعية في المجتمع المصري وكيفية ظهورها في الرواية ووصل إلى الحوار وخطاب الشخصيات. والمكان الروئي يعدّ من أهم المناظر التي تطرّق إليها نجيب محفوظ. احتل المكان الروائي دوراً مميزاً في التعبير عن الواقع الاجتماعي ومدلولاته. تصوّر رواية خان الخليلي للقارئ هواجس الشعب المصري والنفسيات والواقع الاجتماعي والمعاش.

فيما يتعلّق بالروائي عزالدين شكري فشير وجدنا دراسات منها:

جمعة (2018) عالج في بحثه صورة أمريكا في رواية "عناق عند جسر بروكلين" بالتركيز على المنهج النفسي والاجتماعي وكذلك منهج التحليل السردى، نتائج البحث تشير إلى أنّ الرواية صوّرت دلالات الكراهية والعنصرية والاغتراب والضيق، وقد مثل مثلث الكراهية والاغتراب، والفشل، الثالث الذي عاشت في ظله الشخصيات في الرواية.

إحموشن تينهيان وغلابي مختارية (2022) تناولا في بحثهما تمثلات الهوية في رواية "عناق عند جسر بروكلين" لعزالدين شكري فشير، ما توصل إليه هذا البحث هو أنّ الرواية استطاعت طرح إشكالية الصراع الحضاري، بحكم الاختلاف في القيم والعادات والعرق والثقافة بين العرب والغرب، الذي نتاج على أساسه الصراع الذاتي كحب الانتقام، الذي ظهر في شخصية داوود. نجحت الرواية في إيصال رسالة مهمة إلى فئة معينة من الشباب، الذين يخططون للهجرة ظانين أنها أرض الأحلام، ليجدوا أنفسهم في سجن الغربة تحت رحمة الأجنبي.

بالقاء نظرة في الدراسات السابقة نلاحظ أنّ موضوع بحثنا جديد ولم نجد دراسة أو بحثاً أو مقالة تناولت القضايا الاجتماعية للمجتمع المصري في رواية "غرفة العناية المركزة" فلهاذا إنّ هذه الدراسة تعني بجانب لم يعن به الباحثون الآخرون.

2. الإطار النظري

1.2 المنهج الاجتماعي ودراسة الأدب

يرى بعض النقاد أن الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده قد بدأت منهجياً منذ أصدرت مدام دو ستايل كتابها بعنوان "الأدب في علاقاته بالأنظمة الاجتماعية" وذلك في سنة ١٨٠٠م، وقد تناولت فيه تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب وتأثير الأدب فيها، فأدخلت بذلك المبدأ القائل "الأدب تعبير عن المجتمع". في حين يرجع البعض الآخر الجذور الأولى لهذا المنهج إلى هيجل الذي «ربط بين ظهور الرواية والتغيرات الاجتماعية وذلك حين أشار إلى أن الانتقال من الملحمة إلى الرواية جاء نتيجة لصعود البرجوازية وما تملكه من هواجس خلقية وتعليمية» (ويليك، 1948، ص 98).

بعض النقاد المعاصرون فيرون أن نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع الاجتماعي بنوع خاص (موافي، 2008، ص 75). على ما يبدو أنها نتاج لتطور تاريخي واجتماعي

وسياسي وثوري وذلك طبقا لما سوف نراه من إسهامات كثيرة لنقاد بارزين منحوا النظرية الاجتماعية بعدها المنهجي وعمقها الفكري مثل: كارل ماركس، وسان سيمون، ولوسيان غولدمان، وبوشكين وبلنسكي، أوكوست كونت، دوركهايم وجون ستوارت، لوكاتش ويليخانوف... إلخ.

عند الغرب لا يرجع إلى هذه المدة الزمنية من العصور الحديثة بل يرجع إلى عصور وأزمان أبعد من هذا بكثير، وتاريخ آداب هذه الأمم خير شاهد على هذا، فأقدم النماذج الأدبية التي عرفتها الأمم القديمة مثل بعض الملاحم « كالإلياذة والأوديسة تبث لبعض الباحثين أنها ليست من تأليف هوميروس وحده بل هي تراث شعبي شارك في تأليفه الكثير من الشعراء لذلك يمكننا القول إنها من صنع المجتمع تعبر عن واقعهم» (موافي، 2008، ص 67) و كذلك كليلة ودمنة الذي «لم ينفرد بتأليف قصصه مؤلف بعينه بل تشارك في ذلك كثير من علماء وحكماء الهند ويتضح هذا من قول عبد الله بن المقفع: «هذا كتاب كليلة ودمنة وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في الذي أرادوا» (المصدر نفسه، ص 67).

2.2 دراسات سوسيولوجية

«تميّزت الدراسات السوسيولوجية للأدب منذ انطلاقتها التاريخية، بطابعين مميزين. فهناك دراسات اتخذت طابعاً تأملياً مع الأبحاث الفلسفية كما هو الشأن مع أفلاطون وأرسطو وكارل ماركس وهناك دراسات اتخذت طابعاً علمياً، فاستهدفت بذلك دراسة الظاهرة الأدبية في إطار سوسيولوجي علمي. فلقد أخذت الصلة بين الأدب والمجتمع، طابعاً تأملياً فلسفياً قائماً على مفهوم المحاكاة» (حمداوي، 2015، ص 10).

يتجنب علم الاجتماع الأكاديمي عموماً معالجة الموضوع الأدبي بشكل مباشر، لأسباب سبق أن حددها دوركايم في عمله العمدة "قواعد المنهج في علم الاجتماع". ومن

أجل التمكن من درس موضوعه بوصفه موضوعاً مستقلاً، كما هو مناسب لأي علم، نبّه دوركايم إلى الاهتمام بتعريف موضوع العلم انطلاقاً من "الخواص الجوهرية المتأصلة فيه". وهذا هو الشرط لتجنب الركون إلى فكرة مثالية إلى حدّ ما (فرزاد، 2009، ص 35).

السوسيولوجية علم يدرس الظاهرة الأدبية كظاهرة اجتماعية، باعتبار المجتمع هو مصدر الأعمال الأدبية منه يستقي موضوعاته فهو ليس إنتاجاً فردياً وإنما هو تعبير عن تجربة جماعية ترتبط في تشكيلها الجمالي بالفضاء الفكري والحياتي والاجتماعي. «فمجال علم الاجتماع مؤشرات الأحداث المتداخلة بين جميع الأفراد الذين يسهمون في الحياة الأدبية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فغايتة الحياة الأدبية وليس الأدب» (امبرت، 1991، ص 24).

«علم اجتماع النص أو سوسيولوجية النص هو المنهج الذي يدرس المجتمع في النصوص الأدبية أو يقرأ المجتمع داخل النص أو بتعبير آخر هو معرفة الطريقة التي يتفاعل بها النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة» (زيمّا، 1991، ص 171).

بيئة الشاعر أو الكاتب لها دور كبير في خلق الأثر «إنّ الأدب يعبر عن المجتمع وإنّ لكل مجتمع من المجتمعات، الأدب الذي يستحق لهذا أنّ أدب مجتمع القرن السابع عشر الكاثوليكي، كان عظيماً وإنّ أدب مجتمع القرن الثامن عشر الملحد، كان سيئاً» (تاريخه، 1994، ص 115).

3. الدراسة والتحليل

1.3 ملخص الرواية:

تتكوّن هذه الرواية من أربعة فصول: يبدأ الكاتب الفصل الأول من الرواية بطريقة الحديثة في سرد الحوادث. إحدى الشخصيات الرئيسية ألا وهي العميد أحمد كمال. هو طالب ضابط أيام حرب 1967 وأثرها كهزيمة على المصريين والعرب عموماً،

وها هو ضابط صغير مسؤول عن الاستطلاع خلف خطوط العدو في حرب 1973، وها هو يتابع في غرفة العمليات المركزية بدايات الحرب ونشوة العبور واحساس الانتصار، ولكن ذلك لم يدم، الاندفاع الأولي للجيش المصري للضفة الأخرى لقناة السويس، لم تستثمر بالتقدم عبر سيناء لتحريرها؛ الطريق مفتوح والعدو منهار، لكن القيادة صامته ولا أوامر، الجو متوتر... سنتعرف على أحمد كمال والباقي من خلال اقتباسات من نص الرواية، أراد الكاتب بها تقديم زاوية غير متعارف عليها في السرد وقراءتها لتاريخ الاجتماعى المصري. الفصل الثاني نبذة عن أشرف فهى الصحفي. ابن الخمسينات تفتح على مصر وهي في حالة نهوض وطموحات كثيرة، والده، الصول في الجيش الذي ذهب إلى اليمن في الستينات ولم يعد. تولع بالصحافة وحلم أن يكون صحفياً كبيراً ويكون له دور في تعرية الحقائق، وأن يقوم بدور تنويري وناقد ويعبر عن مجموع الناس، كما يجب أن تكون الصحافة، ويصل لرئاسة تحرير أهم الصحف المصرية. الفصل الثالث موسوم بـ"ورود خضراء زاهية تكاد تكون قاتلة". إنّ الشخصية الرئيسية في هذا الفصل هي الفتاة المصرية ابنة الأسرة الميسورة، أمها دكتورة في الجامعة وكذلك والدها، درست الحقوق عاشت حياتها دون كوابح، تعرفت على زميلها نشأت غالب الذي أحبها وأحبته، تولعا ببعضهما إلى درجة كبيرة، لكنهما اصطدما باختلاف الدين فنشأت مسيحي قبطي وهي مسلمة، لم يقبل أن يغير دينه ليسهل عليه الزواج منها، اعتبر ذلك تزويراً. وفي هذا الفصل تقرأ عن محامية تدافع عن الجماعات الإسلامية ونمط تواصلها مع ضابط الأمن القومي أحمد كمال. والفصل الرابع موسوم بـ"جدار لا ينكسر" وفيه نشأ غالب شاب مصري طموح من عائلة مسيحية قبطية، جاء للقاهرة في- الخمسينات- لمتابعة دراسته في للحقوق.

2.3 دراسة الرواية من منظور النقد الاجتماعي للأدب:

النقد الاجتماعى للمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى التعليمية والأخلاقية والأسرية، تقرأها بين سطور هذه الرواية علناً ومستتراً.

فالكاتب بأسلوبه الخاص دخل بقوة ولكن في صمتٍ إلى خلايا جميع الفئات ومستويات المجتمع إما ناقداً أو شاهداً أو عابراً موضحاً الواقع المؤلم تاركاً الحرية التامة للقارئ أن يكون هو الشاهد وهو القاضي والحكم ويطلب منه بخلسة أن يكون الضمير الحي والناطق بالحق في خلجات نفسه، ليصدر الحكم؛ لعل وربما يحدث تغييراً في ما هو عليه وما يجب أن يكون قبل فوات الأوان. فتأخذك دوامة الحوادث إلى تلك الحقبة من تاريخ مصر حتى وإن كانت على أساس خيال محض. ولكن عندما يتوزق تاريخ مصر على أرض الواقع بعد قراءة الرواية، ترى أنها مستوحى من واقع المجتمع المصري. في هذا العام مصر في عهد حسنى مبارك كرئيساً للجمهورية، والأوضاع الاجتماعية والسياسية رهينة ما خلفه قانون الطوارئ من آثار التهميش والاضطهاد وضروة الإرهاب و تشابك الجماعات الإسلامية والتطرف والأزمات الاقتصادية والفساد الإداري والبطالة والتضخم وتدهور التعليم و فيما يلي سنعالج أهم هذه القضايا:

1.2.3 الانشقاق الفكري:

ترتبط استمرارية جماعة معينة بسلسلة من عمليات التواصل المعرفية بين الأفراد، وتتلخص في البعد شبه الأيديولوجي للمواقف والقيم والمعتقدات، التي قد يتم الاتفاق عليها لتكون سببياً في العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، ويتسم هذا البعد أيضاً بطرفين متناقضين من طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع والمجتمعات الأخرى، والذين يشار إليهما باسم الحراك الاجتماعي والتغير الاجتماعي، ولا يتم استخدام هذه المصطلحات هنا بمعناها الاجتماعي، بل إنهما يشيران بدلاً من ذلك إلى أنظمة المعتقدات التي يمتلكها الأفراد، حول طبيعة وهيكـل العلاقات بين الفئات الاجتماعية في مجتمعهم. فعندما يقابل المصدر الذي كان ابنه الذي جاء بالمتفجرات إلى خارطوم، الذي كان متحيراً ماذا يفعل بالأمانة: «معقولة أبلغ البوليس الأمريكي على أهلي وأبناء ديني؟ أنا أقف مع الأمريكان ضد أهلي؟ طيب وهم مين أهلي اللي عايش وسطهم في أمان وفي حرية ولا اللي بيهددوا حياتي أنا وابني؟» (شكري، 2008، ص 8). وهنا الانشقاق ما

بين الصحيح والخطأ، والضمير والعقل، والدين والدنيا...فترى الحيرة والمفترق بين أفكار المجتمع وما بين التدين وما هو القانوني والواجب الوطني. وهنا الكاتب ناقد التأرجح الموجود في الهوية والفكر، والانتماء، والدين فيسأل على لسان المصدر ماذا يفعل وأين يقف وبجانب من؟ وما هو الصحيح؟

2.2.3. اللامسؤولية:

العمل على تنمية المسؤولية الاجتماعية ضرورة اجتماعية؛ لأن المجتمع بجميع طوائفه وفئاته في حاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً في وقت نعاني فيه من بعض ظواهر اللامبالاة، وافتقاد الهوية، والقصور في المسؤولية، والكثير من المظاهر السلبية التي تعوق عملية التنمية، ويعد تحمل المسؤولية من أهم الصفات الاجتماعية التي لا يمكن تنميتها إلا عن طريق الممارسة، لذا يتطلب الأمر من وسائل الإعلام تنبيه أفراد المجتمع وتبصيرهم بما عليهم من واجبات، وأن يكون العمل مبنياً على أساس الأخذ والعطاء بين من يعيشون في المجتمع، وأن تركز على توعيتهم بمسؤولياتهم الاجتماعية نحو أنفسهم ونحو المجتمع والوطن: «ثم اشتكت من أخي سليمان ومن زوجته التي هي سبب كل المشاكل في أسيوط، بما في ذلك موجة الحر الحالية» (شكري، 2008، ص 15). في هذا الاقتباس، الكاتب ينتقد اللامسؤولية، مازلنا نبحث عن علاقة نُعلّق عليها المشاكل بدلاً من حلها ودائماً نبحث عن عاملٍ أو شخص، أو دليل حتى نخلي سبيلنا من العتب واللوم وتحمل المسؤولية والهروب من الواقع، فترى النقد الاجتماعي لسلوكيات تُؤثر بنتائجها على المدى البعيد في المجتمع وأفراده على نطاق أوسع. فإن الصراع والنزاع بين الجماعات يتعلق بتعارض مصالحها، ويمكن افتراض أنه كلما كان الصراع بين المجموعات أكثر حدة، زاد احتمال أن يكون سلوك الأفراد، الذين ينتمون إلى مجموعات متقاربة، تجاه بعضهم البعض كدالة في عضوية كل مجموعة على حدة، بدلاً من أن يكون سلوكهم دالاً على خصائصهم الفردية أو على العلاقات بينهم وبين الأفراد الأخرى.

3.2.3 تدخل الأجهزة الأمنية وانتهاك الحريات:

يُعتبر جهاز أمن الدولة، الذي تم تأسيسه بمصر عام 1913 أثناء الاحتلال البريطاني، أقدم جهاز من نوعه بالشرق الأوسط. فقد تمّ إنشاؤه كجهاز للأمن السياسي. وظلت وظيفة جهاز أمن الدولة ومهامّه دون تغيير يُذكر في كل العصور، واستمرت آليات عمله كما هي، اللهمّ إلا إضافة المزيد من الصلاحيات والسلطات التي سمحت له بالتغول على كل مؤسسات الدولة، انتقاصاً من حقوق المواطنين وانتهاكاً لحرياتهم الأساسية. وفي كل مرة، كان يجري تغيير اسم الجهاز، لمحاولة غسل سمعته السيئة، غير أنه في كل مرة ظل وارثاً أميناً لفظائع وجرائم سلفه، حيث تنتقل إليه ملفات سلفه المتعلقة بالمعارضين وتصنيفاتهم، ليعتنق الكثير مما حوته هذه الملفات، من آراء وتقارير وتقييمات ويسير عليها. كبر جريمة ارتكباها جهاز أمن الدولة هي انحرافه عن مهمّته الأساسية، وهي حماية أمن الدولة إلى حماية أمن النظام ثم العمل لصالحه الخاص، بحيث تحوّل من جهاز في استخباراتي مختصّ بجمع المعلومات وتقديمها إلى الحكومة لمعاونتها في اتخاذ القرارات، إلى جهاز خاص يعمل لصالح النظام والحزب الحاكم، مشيراً إلى أنه بدلاً من أن يقدّم الجهاز تقريراً عن كفاءة الشخص وأمانته ونزاهته، أصبح هدفه ضمان ولائه للنظام، مما أسهم في إفساد الحياة السياسية وحوّل مصر إلى دولة بوليسية: «كل اللي أتمناه إنك ما تتطلعش من مباحث أمن الدولة، مش عايز أبقى بأ تعاون مع أمن الدولة على آخر الزمن» (شكري، 2008، ص 8). عدم الوثوق بجهاز الأمن والتعاون معها قبّح مستتر وذنب لا يغفر. فالمصدر بتسليمه المتفجرات أى الأمانة لصاحبها يثبت بأن المعتقدات وإن كانت خاطئة في نتائجها تغلب قدرة القانون والضمير والعقل ولها اليد العليا في اتخاذ القرار النهائي. وعدم الثقة بالسلطة ومن ينتمي إليها كانت الصفة المبرحة: «بيني وبينك أنا ما عنديش ثقّه في كلام الأمن بتاعنا» (المصدر نفسه، ص 14) والنقد الاجتماعي للسياسة وسطوة السلطة والاستنفار البائن في هذا الاقتباس من جهاز أمن الدولة. فلا بد من إعادة

هيكله جهاز أمن الدولة، مثلما تمت إعادة هيكلة القوات المسلحة في أعقاب ثورة 23 يوليو 1952.

إن الترتيبات السياسية عندما تكون هشة والحيز المدني في تقلص ومظاهر انعدام الحرية تزداد حدةً، ناهيك عن الهوة بين السلطة وأفراد المجتمع لا تنفك تتسع وتزداد انشطاراً، لا بد من حدوث انتهاكاتٍ وتدخلٍ في كل المجالات لحصول علي السيطرة: «لأنني كنت أريد أن أتأكد من إحساسي تجاهه، أن أصنّفه: إما أنه مدعي أو مخلص فعلاً. رفعت إذا درجة المتابعة» (المصدر نفسه، ص 23). جاء هذا الاقتباس ليوضح دور الأجهزة الأمنية وتدخلها في كل شيء، والنقد الاجتماعي البارز للسياسة هو أن يكون كل الشيء تحت سيطرة السلطة حتى وإن كان انتهاكاً للحريات الفردية. فيجب التأكد من كنه عمل الصحفي الشهير واتصالاته.

في منتصف التسعينيات سمحت سياسات الانفتاح السياسي والاقتصادي في عهد السادات بحدوث انفراجة نسبية في المشهد الإعلامي، عبر ظهور وسائل الإعلام الحزبية التي جاءت متزامنة مع سماحه بتأسيس الأحزاب السياسية. ومع ذلك فقد ظل امتياز نقل الأخبار محصوراً بين وسائل الإعلام الحكومية النمطية، ووسائل الإعلام الحزبية ضيقة الانتشار والغارقة في الخطاب الأيدولوجي. في وقت كان فيه الإعلام الخاص يتلمس خطواته الأولى مبتعداً عن سطوة الحكومة فإنه وجد نفسه في مواجهة ترسانة قانونية قمعية تم نسجها بهدف منع قيام إعلام مستقل بشكل كامل في أي وقت: «أعلن الرئيس السادات استعداده للذهاب للقدس. عندئذ أقال أشرف فهد من منصبه بالمجلة بعد نشره مقالاً يندد فيه بمبادرة السادات» (المصدر نفسه، ص 23). الصحافة والإعلام خير وسيلة لمعرفة مقياس الحرية والأخص حرية القلم والتعبير. هذا الاقتباس جاء ليؤكد على تقلص حرية الإعلام والإعلامي لكبح قدرته والذي يشير إلى تدخل السلطة وقمع أصوات المعارضة حيث نلاحظ إقالة الصحفي لنشره مقالاً يندد معترضاً على سفر السادات لإسرائيل.

4.2.3 الحرب وتداعياتها:

تعد القدرة العسكرية عاملاً رئيسياً وتبرز أهميتها بالمدى الذي يمكن أن تساند به القدرات السياسية والاقتصادية، ويعد مبدأ التوازن والردع، هو ضمان السلام الدائم من خلال توازن القوى للقدرات العسكرية، والقدرة العسكرية لا تقاس فقط بنوع وكمية ما تملكه الدولة من أسلحة ومعدات، بل بقدرتها على إنتاجه بالكيف والكم. حيث أن وضوح وكفاءة استخدام هذه القدرة تلقي بظلالها الإيجابية والسلبية على استخدام باقي قدرات الدولة والمجتمع. وحرب مصر وإسرائيل كانت المسرح الحقيقي لإظهار القدرات على كافة الأصعدة لكلا الطرفين. خلفت آثاراً مازالت تأثيراتها وهواجسها متبقية في ذاكرة التاريخ المصري. وعلى هذا ترى في هذه الرواية ولأهمية هذه الحقبة التاريخية ومؤثراتها، أخذت حيزاً من الاهتمام على لسان ضابط عاش هذه الفترة كنموذج من الذين أصابهم اليأس والإحباط بعدها: «الصداع يكاد يفتك بي، أشعر أن رأسي تغلي وأن نصفه الأيمن سينشط. الجو في مركز القيادة مشحون. الخرائط معلقة على جدران متحركة، وأجهزة التليفون لا ينقطع رنينها. كبار الضباط وقادة الأسلحة خلعوا طواقمهم وحلوا الأزرار العليا من السترات الميري، وبقينا نحن الضباط الصغار نحمل عبء النظام والالتزام والطواقي» (شكري، 2008، ص 30).

الحرب أفضل أداة لتقييم أداء السلطة نظاماً، وكياناً، وحنكةً، والتدبير العسكري ونواياه في إدارة الحرب. هذا الاقتباس، الكاتب بدأها بالصداع أي رمزاً على التزلزل الفكري الذي كان يحكم الموقف وعدم سيطرة القادة في إدارة واتخاذ القرار الصائب في الحرب آنذاك. عدم وجود القيادة الحكيمة، سببت ما آلت إليه الحرب. وترى كبار الضباط والقادة خلعوا طواقمهم كأنما يقول الكاتب استسلموا وبالأحرى فقدوا السيطرة على الموقف وفلت الأمر من يدهم! وكما هو الحال: الشعب يدفع الثمن دائماً. الضباط الصغار (الشعب) يحملون عبء الأخطاء والتزام وحتى تحملوا الطواقي (والبقاء تحت الوطأة) بدافع إنها فرصة لاستعادة ما ضاع!...

الكاتب يصور أمة وضعت كل كيائها في نتيجة هذه الحرب. دفع ضريبة إعادة الكرامة (حرب 1967) والأصعب تحقيق حلم غدٍ أفضل والافتناع بقدرته على التغيير كله في موضع الاختبار، اختبارٍ أجبر على الخوض فيه بلا ذنب. الكاتب يثير الشجون للجيل الجديد الذي لم يكن وقتها ويداعب وعي المتلقي ليقوم بعملية استدعاء للمخبوء في ذاكرة من أحوال ومواقف تخصه (هو) تتصل بهذا الزمن أو ذاك، وبالطبع ما يلحق بها من أحوال وتعد قرينة لها ومقارنة بما ذكره الكاتب في هذا الاقتباس ينشط ذاكرة القارئ ويُذكّره بما مضى وأخذ العبرة منها بأن التاريخ سيكرر نفسه إذا حدث تهاون مرة أخرى: «كنا مستعدين لأي شيء. فليس الأمر مجرد خطة عمليات أنفقنا في وضعها كل جهدنا ودمنا وحياة البعض منا طوال سنوات الاستنزاف، وليس الأمر مجرد الانتقام لكرامة ضربت في حرب 1967 ونحن ما زلنا طلبة بالفنية العسكرية، وليس الأمر مجرد استعادة لأرضنا وشرفنا ومكانتنا، ليس الأمر مجرد حرب تتعرض فيها أرواحنا وأرواح زملائنا وأهلنا للهلاك، ليس الأمر ذلك كله. وذلك كثير. بل إن الحرب، هذه الحرب، هي تحدي لوجودنا كأمة، لقدرتنا أن نفعل شيئاً. هذه الحرب هي الاختبار الأخير لقدرتنا على أن نحلم بغد أفضل وأن نأمل وأن نواصل الحياة ونحن مقتنعون بقدرتنا على تحويل الحلم إلى حقيقة. الحرب. هذه الحرب، هذه الأيام، هذه الساعات، هذه الدقائق. ستحدد ما إذا كنا نستطيع أن نفعل شيئاً ذا قيمة، ما إذا كنا نستطيع أن نبني لنفسنا عالماً أفضل، ووطناً يكون لنا وليس علينا» (المصدر نفسه، ص 31).

5.2.3 الأقلية والعنصرية:

يشير الكاتب وينتقد أن رؤية المجتمع مازال واقفاً في الخانة الأولى من التطور الفكري والثقافي حول رؤيته في العنصرية العرقية أو الدينية وغيرها من أنواع العنصريات: «هل ستذكر الصحف أي قبلي أم سيلجأون للتعمية على هذه المسألة لتفادي الحرج؟» (شكري، 2008، ص 150).

«ومتنساش إن احنا أقلية في البلد دي، وستتابع القراءة دون أن توضح من المقصود بكلمة «إحنا»: المثقفون؟ الليبراليون؟ أم المسيحيون؟ ولن يكون هناك داع لسؤالها. وربما تكون أمي على حق، وربما يكون الجميع على حق، ربما من الأفضل أن يكون المرء أكثر دبلوماسية في اختياره لمواقفه، وأن يركز على الأولويات التي تهمة وليس على المبادئ العامة، من أجل أن ينجح في تحقيق أهدافه ويتفادى المعارك التي لا طائل ولا مصلحة من ورائها. لكني لو فعلت ذلك لكنت سياسياً وليس رجل قانون، ولكنت شخصاً آخر. أحياناً أود لو أنني كنت كذلك، وربما يكتبون جزءاً من هذا في نعيي: كان دائماً يدخل في معارك لا طائل من ورائها» (المصدر نفسه، ص 153). «التعمية لتفادي الحرج» مازال الفكر العربي لا يتقبل الاختلاف، لا يتقبل الرأي المعارض، لا يتقبل الانتقاد من الأقلية، «وليس المبادئ العامة» وينتهي الأمر وصولاً إلى أنها ليست بالشئ المهم أو يذكر فهي مبادئ عامة ولا يجدر إثارتها فلا تستحق أن تكون في الأولوية، وألا ستكون من ضمن من «كان دائماً يدخل في معارك لا طائل من ورائها». وعن أن ماري: «ولكن رؤيتها لنفسها ومستقبلها لا تتضمن أن تكون مع عربي، وقطعا لا تتضمن أن تعيش في بلد كمصر» (المصدر نفسه، ص 174). ويصل الكاتب إلى رؤية الغرب وهذه العنصرية من خلال شخصية أن ماري، المثقفة، طالبة الدكتوراة التي تعيش في الغرب المتحضر الذي يندد بحقوق الإنسان، يساند ويدعم مالياً وسياسياً واقتصادياً وإن لزم الأمر يفرض الحصر، وحتى يدخل الحرب بدافع حماية حقوق الإنسان طبعاً إذا إقتضت مصالحه. وهنا الاقتران بالعربي الذي يسكن في مصر لا يضمن المصالح.

6.2.3 الأزمات الاقتصادية وتأثيرها علي مصر:

أهم باحثي السياسة المصرية "روبرت سبرينغبورغ" قد تنبأ بوقوع تحولات في توجهات النظام السياسي المصري نتيجة الأزمات الاقتصادية، وذلك في كتابه "مصر في عهد مبارك" الصادر عام 1989، الذي حاول من خلاله التنبؤ بمصير نظام مبارك الذي تعرّض في نهاية الثمانينيات إلى أزمة مالية خانقة أدت بالفعل إلى توقف مصر

عن سداد ديونها الخارجية ووصلت عملياً إلى حالة الإفلاس. في كتابه، أكد سبرينغبورغ أنّ النظام المصري يجب أن يتكيف مع تدهور موارده، ومن ثمّ يتعامل مع تناقص المستفيدين منه بالتزامن مع زيادة نفوذ معارضيه. وقدّم الخبير المرموق والمسؤول الأميركي السابق بعض السيناريوهات المحتملة للتحول السياسي في مصر، أولها استمرار الديكتاتورية مع ازدياد التوجه الرأسمالي النيوليبرالي وتوسعة دائرة تحالف السلطة مع رجال الأعمال وإشراكهم في دائرة السلطة. وهذا هو السيناريو الذي ساد في أميركا اللاتينية في السبعينيات والثمانينيات، التي تعرّضت دولها أيضاً لأزمات ديون عنيفة.

أما السيناريو الثاني فيشترك مع السابق في التوجهات الاقتصادية وفي استمرار الوجه الاستبدادي، لكن الفرق أن النظام سيحاول التحالف مع قوى مدنية جديدة لإضفاء نوع من الشرعية المدنية حتى تتدفق عليه الموارد من جديد. بالطبع لا يمكن اعتبار هذه السيناريوهات واقعية أو حتى ذات أهمية في الوضع الحالي، لكن المفارقة هنا هي أن الأسباب التي أدت إلى انهيار الخزينة المصرية في مطلع العقد الأخير من القرن الماضي تبدو مشابهة جداً لأسباب الأزمة الاقتصادية الراهنة، وهي أسباب عرضها أستاذ الاقتصاد المصري "سامر سليمان" في كتابه "النظام القوي والدولة الضعيفة: إدارة الأزمة المالية والتغيير السياسي في عهد مبارك"، الذي تتبّع فيه سليمان أسباب الأزمة المالية المستمرة في مصر، ومشكلة نقص الإيرادات الأتلية التي تعاني منها الخزينة المصرية منذ عهد الخديوي إسماعيل حتى يومنا هذا، وكيف يحاول النظام السياسي التكيف معها.

كما شرح سليمان في كتابه كيف أدت الأزمة المالية إلى ظاهرة مركبة وهي زيادة النزعة المركزية للدولة مصحوبة بميلها للتفتّت وانشطارها إلى جزر منعزلة، بالتزامن مع محاولات زيادة إيرادات الدولة وفشل تلك المحاولات الواحدة تلو الأخرى، وطبيعة النظام السياسي نفسها التي تقف عقبة أمام زيادة الإيرادات. ونلاحظ هنا أن كل ما

درسه وحلله سليمان كان قبل توسع وتمدد النفوذ الاقتصادي للجيش المصري، وقبل ظهور طبقة بيروقراطية عسكرية تدير الدولة وتبتلع جزءاً كبيراً من الإيرادات.

جاء مبارك إذن مسكوناً بهواجس وكوابيس العصر الذي سبقه، لذلك فقد تعلّم أن أي تخفيض للإنفاق الاجتماعي وتقليص للدعم يجب أن يحدث تدريجياً وإلا سيواجه النظام تهديداً وجودياً مثلما حدث عام 1977. ومن حسن حظ مبارك كان تدفق الإيرادات على الخزينة المصرية كبيراً في بداية عهده، فقد كانت أسعار النفط مرتفعة مما أدى إلى ارتفاع دخل قناة السويس، ولكن بحلول عام 1986 تغير الوضع وانخفضت إيرادات الدولة بشدة. (سلامة، 2023). وبهذه المقدمة نحصل على خلفية واضحة للوضع السياسي المؤثر على الوضع الاقتصادي وامتداد جذور تدهوره حتى يومنا هذا. وهذه الأوضاع تجدها منعكسة في الرواية ومنتشرة على مختلف أرجاءها متخلخلة في دور الشخصيات الأربعة الرئيسية فيها. والنقد الاجتماعي للمشاكل الاقتصادية يلمسها القارئ بوضوح: «ما تركّز في حقوق الفقراء في عشوائيات القاهرة، اللي مش لاقين مية نضيفة يشربوها. ولا حقوق أطفال الشوارع اللي بتضيع حياتهم منهم في الإجرام والتسول والجهل. ولا حياة البنات اللي بيشتغلوا في المحلات الصغيرة وبيتعرضوا للتحرش كل يوم. ولا حقوق الزوجات اللي بينضربوا وبيتقتلوا في حوادث وحكايات متعلقة بالشرف أو بقلته؟» (شكري، 2008، ص 152). وهذا الحوار الوهبي ما بين نشأت وأشرف يعطي صورة مأساوية عن الواقع. ترى النقد الاجتماعي للوضع الاقتصادي ويليهِ الثقافي. هذا الاقتباس يبرهن القصور وتهاون السلطة في توفير وتأمين أبسط الحقوق والإمكانيات للمجتمع. واتساع الشقوق ما بين المستوى المعيشي ما ولّد طبقتين إما غنية جداً أو فقيرة جداً.

7.2.3 الواقع القاتم:

الكاتب مع شخصياته الروائية الأربعة من "تحت أنقاض مصر" يرى الواقع القاتم المتفسخ لمجتمعها ورغم هذه الأنقاض وهذا التفسخ فإنه ما زال يرى الضوء من

بين الشقوق وتصلى مسامعه أصوات الأمل. بلا شك، القنصلية انهارت علي رؤوس المواطنين، ويركز عزالدين شكري على أربعة نماذج رئيسية مدروسة بعناية فائقة، تمثل هذه العناصر الرئيسية دور المسبب التي أدت إلى انهيار كل شئ. بدأ من العمال المكلفين بإزالة ورد النيل وكأنها تقول كنايةً بأن السلطة مازالت مهيمنة ولكن تفلت منها في الكثير من الأحيان كما هو حال انتشار ورد النيل. اجتهد فشير في رسم عالم حقيقي، لكل فيه قيمه مبرراته ومآسيه الشخصية. تسرد وقائع القصة بصوت الشخصيات الأربع، كل من وجهة نظره. لا يتبع السرد النمط الخطي، بل تستعرض كل شخصية تاريخها دون ترتيب زمني معين، و تتقاطع حياة كل شخصية مع حياة الشخصيات الأخرى. كما حرص الكاتب علي إخفاء بعض التفاصيل لإبقاء شرارة التشويق المشتعلة.

نقطة قوة الرواية تكمن في أنها تكشف لك ما وراء الأكمة. مثلاً ستعرف شيئاً عم يجري بين المخبرات وبعض النشطين، وكيف تسعى لاستمالتهم بغرض وضع إطار لنشاطهم دون الحاجة للقضاء عليهم. ستكتشف الزواج غير الشرعي بين القوي السياسية والصحافة وكيفية تأمين ظهر أو (بروتكشن) لضمان استمرارية صحيفة ما؛ والسعى للحفاظ على المصداقية دون العبث بمصالح البروتكشن. هناك أيضاً تصوير للصدام بين الجناحين المعتدل والمتطرف في الجماعات الإسلامية. كما أن قصة المحامي نشأت غالب تمنحنا رؤية لما يتعرض له الحقوقيون الذين يعتمدون على الدعم الخارجي من تنفيذ في الداخل واستغلال من الخارج؛ كذلك عسر الملائمة بين استقلالية العمل ورضا المانحين: «صحيح أن مصر محجوزة في غرفة العناية المركزة ولكنها لم تمت بعد» (شكري، 2008، ص 44) صحيح أن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في مصر قد انهارت، إلا أن عزالدين شكري يرى بصيص نور من الأمل من تحت الأنقاض في السودان حيث حوصر أبطال الرواية في أعقاب هجوم انتحاري، حوصروا تحت أنقاض المبنى والأنقاض النفسية لكل من ضابط الأمن أحمد كمال

المسئول عن ملف الجماعات الإسلامية، والمحامية داليا الشناوي التي سخرت للدفاع عن الجماعات، وقضايا حقوق الإنسان ونشأت غالب، والصحفي أشرف فهمي. هنا تكمن عبقرية الرواية وجمال أسلوب مؤلفها حيث استطاع فشير الربط بين هذه الشخصيات وبين الواقع المصري الاجتماعي السياسي، بين الماضي والحاضر والوعي واللاوعي، بالضبط، كما في الواقع يحمل فشير جزءاً من مسئولية انفجار مبنى القنصلية لكل أبطال روايته، فداليا أعطت معلومات لمنفذ الهجوم، وضابط الأمن كان يعلم بأمر الهجوم، وابن الصحيفة والمحامي غالباً، وظن هؤلاء إنهم ضحايا الانفجار، وهم مسئولون عنه أيضاً هل يتهم فشير النخبة المصرية بأنهم كانوا سبباً من أسباب الفساد الذي ساد في مصر؟؟ وماذا بعد الإنهيار؟؟ هل سيكتفي المصريون بانتظار قوات الإنقاذ أم سيسعون للخروج من تحت الأنقاض بأنفسهم؟؟ هذا التساؤل الذي سيعلق بذهنك أن تطوي الغلاف الخلفي، نعم للأسف مازال هذا السؤال مطروحاً، حتى بعد الثورة.

الكاتب في روايته يرفع الغطاء عن حقيقة يصعب تقبلها بسهولة وهي أن المجتمع خامد يائس، رضي بما حدث ويحدث، لا يستطيع أو لا يقدر، ربما لا يريد حتى أن يدفع ولو من ماله للحصول على التغيير مهما كان صغيراً. لا يريد أن يقدم شيئاً، فالمجتمع المدني للحصول على حقوق الإنسان وإحيائها فيها (على الأخص في المجتمعات عالم الثلاث) يجب أن يسعى ليغتنبها، ولكن الصمت مطبق من الجميع: «كم كنت أود، كم كنت أحلم أن يكون التمويل باكتتاب عام، أو بحملة تبرعات مستمرة، من البسطاء وعامة الشعب، من وقف أو هبة من أحد رأى فائدة العمل الذي نقوم به لقريب أو حبيب وأوصى للمكتب بجزء من ميراثه، أو منحة من نادي القضاة تقديراً للدور الذي يقوم به المكتب، أو هبة من الدولة تعبيراً منها عن فهمها لأهمية دور المجتمع المدني في حماية حقوق الإنسان. لا شيء من هذا تم. صمت مطبق من الجميع. كنت أريد، إن حدث أي من ذلك، أن أنشئ مجلس إدارة للمكتب يضم في صفوفه أناس ممن تبرعوا»

(المصدر نفسه، ص 185). وهذا الاقتباس المؤسف جاء على لسان نشأت ليثبت أن من يندد بحقوقه يريد لها مجانية، يريد لها لقمة سهلة المضغ والقضم، يريد لها على طبق من الفضة تقدّم لها وهي جالسة على الأريكة، لا يريد أن يدفع ثمنها!!، فما بالك أن ينضال من أجلها، أو يضحي للحصول عليها، لا، فقد ولى زمن التضحيات في سبيل الحرية، فالقفس أكثر أماناً.

4. خاتمة:

من الجوانب اللافتة في الرواية هو القدرة على تقديم نقد اجتماعي وسياسي بطريقة غير مباشرة، من خلال قصص الشخصيات ومصائرهما. يتناول الكاتب قضايا مثل الحرب وتداعياتها، الانشقاق الفكري، كبح الحرية، والفساد والظلم والقمع السياسي والتطرف بطريقة تجعل القارئ يتفكر ويتأمل في الواقع المصري. كما تعكس الرواية حالة من الأمل واليأس في آن واحد. النهاية مفتوحة بشكل كبير وغير مفهومة بعض الشيء، مما قد يترك القارئ في حالة من الحيرة والتساؤل. الرواية كشف أسرار المتطرفين والمتشددين وأصحاب الأقلام الفاعلة والأسماء اللامعة في المجتمع بشكل عام وتلامس الواقع بشفافية وحيادية وموضوعية.

5. قائمة المراجع:

- امامى، نصرالله، (٢٠٠٦)، مبانى وروشهاى نقد ادبى. الطبعة الخامسة. ديبا، طهران.
- أندرسون إمبرت، إنريك، (1991)، مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأداب، القاهرة.
- تاريخه، جان ايف، (1994)، النقد الأدبي في القرن العشرين. ترجمة: منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة، حلب.
- حمداوي، جميل. (2015)، سوسيولوجيا الأدب والنقد، مكتبة المعارف، القاهرة.
- زيماء، بيير، (1991)، النقد الاجتماعي، ترجمة عائدة لطفي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة.

- شكرى، عزالدين، (2008)، غرفة العناية المركزة، دار الشروق، القاهرة.
- شمس، سيروس، (١٩٩٧م)، انواع ادبى، الطبعة الخامسة، انتشارات فردوس، طهران.
- عسكرى، عسكر، (٢٠١٠)، نقد اجتماعى رمان معاصر فارسى، ط2، نشر فروزان، طهران.
- فرزاد، عبدالحسين، (٢٠٠٩)، نقد ادبى، ط5، نشر قطره، طهران.
- محمود، حواس، (٢٠١٨)، علاقه الأدب بالمجتمع، مؤسسة الفكر العربى، القاهرة.
- موافى، عثمان، (2008)، مناهج النقد المعاصر، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- ويليك، رينيه، (1948)، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت.
- يحيى، موسى، (2023)، من هو عزالدين شكرى فشير:

www.arageek.com/bio/ezzedine-choukri-fishere

- سلامة، شمس الدين، (2023)، النظام القوي والدولة الضعيفة.. كيف نفهم أزمة الاقتصاد المصري؟:

<https://www.aljazeera.net/midan/reality/economy>